الحوار في الفكر الإسلامي
Dialogue in Islamic thought

د. بشير خليل توفيق حداد*
BASHER KHALIL TOFIQ HADAD
رقم الهاتف:٠٧٥٠ ٤٤٤٢٠٢٠
الايميل: ahmethaddad@hotmil

الملخص:

تعرض هذه الدراسة موضوع الحوار بوصفه احد أهم الوسائل التي تملكها الأمة كما يملكها الفرد على حد سواء للتواصل مع الاخرين، فالحوار نمط حياة وأسلوب تفكير، وقد اولى القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار، فهو الأسلوب الغالب في قصص الامم السابقة وهو الاداة الأولى للأنبياء واتباعهم في نشر الدعوة، يطمح هذا البحث الى بيان ثقافة الحوار التي تميز بها ديننا الإسلامي، وبيان أهميته في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان أهمية الحوار في عملية التعارف والتدافع الحضاري، وبيان انعكاساته على الساحة الفكرية في المجتمع الإسلامي.

ويناقش البحث قيمة الحوار في الفكر الإسلامي باعتبارها قيمة حضارية مهمّة من قيم الدّين الإسلامي التي اعتمدها أغلب العلماء والفلاسفة الكبار، الذين أعدوه وسيلة من وسائل النهوض بالمجتمع والاندماج بالأمم الأخرى ومناقشتهم حسب السياق القرآني الذي رسمه لهم، وعلى هذه الأسس الإسلامية نهض الحوار على السلم، والاحسان، والمعروف، والعدالة والمساواة، والاقناع بالبرهان العقلي.

وأخيراً يحاول الباحث تسليط الضوء على ثقافة الحوار كبديلٍ لمفهوم الصراع وإحياء هذه الحوارية وتفعيل دورها في عالمنا بدل ثقافة الاستبداد وإلغاء الآخر ولغّة النفي والاقصاء والتكفير التي تمارسها بعض الأطراف المختلفة .

* جامعة صلاح الدين، إقليم كردستان/ العراق– اربيل/ متقاعد.

Abstract:

This research aspires to explain the culture of dialogue that characterizes our Islamic religion, explain its importance in the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, its importance in the process of acquaintance and civilizational conflict, explain its goals and purpose, clarify its circles and types, and explain its repercussions on the intellectual arena in Islamic society.

The research discusses the value of dialogue in Islamic thought as an important civilizational value among the values of the Islamic religion adopted by most of the great scholars and philosophers, who considered it a means of advancing society, integrating with other nations, and discussing with them according to the Qur'anic context that it laid out for them, and on these Islamic foundations dialogue rose on peace and charity. , favor, justice, equality, and persuasion through rational proof Finally, the research attempts to establish the culture of dialogue as an alternative to the concept of conflict, revive this dialogue and activate its role in our world instead of the culture of tyranny, eliminating the other, and the language of denial, exclusion, and atonement practiced by some parties..

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

بما أنّ الخلاف طبيعة بشرية، نتيجة التباين في الثقافات وتراكم الخبرات، فقد يكون الحوار حاجة انسانية يتواصل فيه الإنسان مع غيره، وضرورة حياتية للتّعايش بين الشعوب المختلفة.

لذلك فقد اعتبر الإسلام الحوار مبدءاً أساسيّاً من مبادئ الدعوة إلى الله عزّ وجل، فالقرآن الكريم يعدّ الحوار بالتي هي أحسن أسلوباً حقاً يتعامل به المسلم مع مخالفيه في الرأي والاعتقاد.

ويمكن القول أنّ الدين الإسلامي هو دين الحوار، وأنّه الطريقة التي أدّى بها النبيّ محمد (صلى الله عليه وسلم) رسالته ما هي إلاّ الحوار عن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، واتّباع أسلوب الحجج المنطقية والأدلّة العقليّة والعلميّة .

لا شكّ في أنّ للحوار أهميّة كبيرة في الفكر الإسلامي وفي واقع حياة البشرية، وتتجلّى أهميّة الحوار في كونه الطريقة الأفضل في التواصل وحل النزاعات، والوصول إلى صيغة تناسب الجميع، وهو لغّة التّربية وأداةٌ للتّعليم، وخاصّة في زمنٍ يَكادُ الحوارُ ينعدمُ فيهِ ويحلّ محلّه منطقُ القوّة والصّراع العَنيف في مجالات متعدّدة من حياتنا اليومية.

والحوار في الإسلام إضافة إلى أنّ له عناصره وسماته العامّة، فإنّ هناك آداباً وقواعد لا بدّ من توافرها حتى يكونَ الحوارُ هادفاً وبناءً، وأنّ هذه الآداب هي مجموعة من الأساسيات التي تضمن سير النقاش والحوار بودّية وإيجابيّة، وتحرص على إيصال الأفكار والأهداف عَبر كلماتٍ سهلةٍ دون انفعالات من شأنها تغيّر مجرى الحديث وتحييده عن الهدف.

وفي هذا البحث تمّ تسليط الضّوء على جانبٍ من جوانبِ الفكر الإسلامي وهو (الحوار في الفكر الإسلامي) وذلك من خلال تمهيدٍ وفصلين، فالتمهيد تضّمن مدخل إلى الحوار، من حيث تعريفه لغة واصطلاحاً، ثم تطرقنا إلى الجدل والمناقشة ونشأة الحوار، أمّا الفصل الأول فقد تضمّن عدّة مباحث مهمّة، أمّا المبحث الأول فقد اشتمل على الحوار في القرآن والسنة، والمبحث الثاني تناول عناصر الحوار في القرآني، أمّا المبحث الثالث تطرق إلى السّمات العامة للحوار .

وأمّا الفصل الثاني تناول أهمية الحوار وآدابه في الفكر الإسلامي واشتمل على ثلاثة مباحث وهي: المبحث الأول أهمية الحوار في الفكر الإسلامي، والمبحث الثاني أدب الأنبياء في الحوار ، والمبحث الثالث الآداب العامة للحوار ، وانتهى البحث بخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع .

أهمية البحث:

١ـ تكمن أهمية الموضوع كونه يتحدث عن الحوار، وهو سبيل الاقناع، ومفتاح القلوب، واسلوب للتواصل والتفأهم، ووسيلة للتعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والاصلاح، ومسلك للتربية والتعليم، ومجمع التقارب والالتقاء، وسنن الانبياء عليهم السلام مع أقوامهم لاقامة الحجج ودفع الشبه.

٢ ـ الالتزام بآداب الحوار وأسسه وشروطه سبيل إلى نجاح الحوار والوصول إلى الأهداف المنشودة له.

٣ـ بيان أن الإسلام ليس يقر الحوار فحسب، وإنما يجعل ذلك أمراً إلهيا وفي دائرة العبادة، وحكمة من حكم إرسال الرسل .

الهدف من البحث:

١. بيان أن الإسلام ينظر إلى مسألة الخلاف بين البشر أمراً إلهيا وحقيقة لا يجوز التهرب منها .

٢ـ إظهار أن الاختلاف يمكن أن يكون دافعاً نحو التدافع والتنافس على طريق البناء والاصلاح ، وسبباً من أسباب تقدم المجتمعات إن أحسنّا التعامل معه .

٣ـ تعزيز ثقافة الحوار والتفأهم وجمع القواسم المشتركة والبحث عن المساحات المشتركة بين الناس، وإنهاء النّعرات الطائفية والصراعات الدينية والاثنية .

منهجية البحث:

المنهج الذي ساتبعه في البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي وفق المنهج الآتي :

١ـ تصوير المسألة المراد بحثها تصويراً دقيقاً، قبل إظهار حكمها ليتضح المقصود من دراستها.

٢ـ إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق فأذكر حكمها بدليلها مع توثيق الاتفاق من مظانّه المعتبرة.

٣ـ إذا كانت المسألة من المسائل الخلافية، فاتبع تحرير محل الخلاف إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف وبعضها محل اتفاق.

٤ـ التركيز على موضوع البحث وتجنّب الاستطراد.

٥ـ بيان اسم السور مع ترقيم الآيات.

٦ـ تحريج الأحاديث من مظانه المعتبرة .

تقسيمات البحث:

انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة .

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهداف الموضوع، ومنهجه وتقسيماته .

التمهيد: مدخلٌ إلى الحوار.

أولاً : الحوار لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : الحوار والجدل والمناقشة.

ثالثاً : نشأة الحوار.

الفصل الأول: الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الأول : الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثاني : عناصر الحوار القرآني

المبحث الثالث: السمات العامة للحوار القرآني.

الفصل الثاني: أهميّة الحوار وآدابه في الفكر الإسلامي.

المبحث الأول : أهميّة الحوار في الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني : أدب الأنبياء في الحوار مع أقوامهم.

المبحث الثالث: الآداب العامة للحوار والمناظرة.

الخاتمة: وفيها لخّصت أهم نتائج البحث .

فهرس المصادر والمراجع .

الملخص بالعربي والانكليزي.

التمهيد: مدخلٌ إلى الحوار

أولاً : الحوار لغةً واصطلاحاً.

أ/ الحوار لغة : هو مراجعة الكلام ويكون ذلك بين شخصين أو طرفين، كما في المصادر اللغوية.

جاء في اللسان[١] : الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار الى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارة وحؤوراً: رجع عنه وإليه.

والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

وقال الزبيدي[٢] : الحور: النقصان بعد الزيادة، لأنّه رجوع من حالٍ الى حالٍ.

والمحاورة : المجاوبة ، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم.

وقال الفيروز آبادي[٣]: الحور : الرجوع ، والتحاور : التجاوب.

وعند المطرزي [١]: حاورت فلاناً محاورة وحواراً: راجعته الكلام.

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (حور) دار صادر، بيروت، د.ت، ٢١٨/٤ .

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مجموعة محققين، دار الهداية، د.م، د.ت، ١٦٠/٣ .

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط٨، ٢٠٠٥ م، ١١٦/٢ .

وعند الزمخشري[٢] : حاورته : راجعته الكلام، وهو حسن الحوار ، وكلمته فما ردّ علي محورة وما أحار جواباً: أي ما رجع.

وجاء في المحيط [٣] : حور الغلام والجارية محور حورا : اشتد بياض بياض عينيه وسواد سوادها واستدارت حدقتها ورقت جفونها، وحاوره محاورة وحواراً : جاوبه وراجعَهُ في الكلام.

وتحاور القوم تجاوبوا وتراجعوا الكلام بينهم.

واستحاره استحارةً: استنطقه.

ب/ الحوار اصطلاحاً : هو أن يتناول الحديث طرفينِ فأكثرَ عن طريق السّؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع والهدف[٤] .

المحاورة هي المراجعة في الكلام بين طرفين لبث شكوى، أو غرام أو تفصيل أمرٍ، أو تهدئةِ خاطرٍ أو نحو ذلك من الأغراض التي يقتضيها الحال والمقام[٥] .

"فالمحاورة ضربٌ من الأدب الرفيع وأسلوبٌ من أساليبه"[٦]، وهي في دلالتها الواقعيّة أنّها محاولة كلّ من طرفي الحديث أو أحدهما أن يقنع الآخر بمنطقهِ ووجهة نظرهِ.

ثانياً: الحوار والجدل والمناقشة والمناظرة.

---

(١) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ت: ٦١٠ هـ)، تحقيق: محمود فاخوري و عبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد – حلب ،ط١، ١٩٧٩م ، مادة: (حور)، ص:١٣٣ .

(٢) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، ٢٠٥/١ .

(٣) ينظر: محيط المحيط، لبطرس البستاني، مادة (حور)، نشر مكتبة لبنان، (د.م) ، د.ت ، ص٢٠٣ .

(٤) ينظر: الحوار في القران الكريم، اسماعيل ابراهيم السامرائي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة، بغداد ١٩٨٩م، ص١٧ .

(٥) ينظر: المصدر السابق: ص١٧ .

(٦) ينظر: مناهج الجدل في القران، د. زاهر الالمعي ، مطبعة الفرزدق، الرياض، ط.٢، ١٩٨٤م، ص٣٠ .

هاتان الكلمتان لهما جذور متأصلة في حياة الإنسان ووعيهِ منذ أن بدأ الإنسان يواجه الحياة الاجتماعية التي تختلف فيها الآراء وتنتزع عندها الأفكار ، لتجسدا له المعنى الذي تنطلق فيه أفكاره في مجال العرض وميادين الصراع.

فقد يحدث أن يتحرك من أجل إعطاء فكرتهِ صفة الوضوح التي تتمثل في النّفاذ إلى كل جانبٍ من جوانبها، لئلّا تبقى هناك حاجة للاستفهام أو المعارضة الناتجة عن خفاء بعض القضايا الملحّة.

وهنا يبرز الحوار الذاتي تارةً والمشترك تارةً أخرى، والذي يتدرج فيه الفِكرُ من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى ومن مرحلةٍ إلى أخرى ليجمع في إطاره الحالات والمراحل جميعها، وهذا الذي أودّ التوقف عنده من خلال هذه العجالة.

وقد يحدث للإنسان في بعض الحالات أن يخوض الصّراع من أجل فكرته ضد المعارضين له، فيتحوّل الموقف إلى صِدامٍ تتجاذبه مواقف الكرّ والفرّ والهُجوم والدّفاع وتُهيمن عليهِ أجواء التّوتر الفكري والنفسي والكلامي من أجل الحصول على الغلبة، إن كان هناك مجال للغلبة أو إلى الّتفأهم في حالة تيسر سبيل إليه) [١] .

هذا ما توحيه كلمة الجدل، فهي تدلّ على الحوار الذي يعيش في أجواء الخلاف الفكري ، بينما توحي لنا كلمة الحوار بأوسع من ذلك، وهاتان الكلمتان مختلفتان من حيث الدلالة اللغوية ، فعلماء اللغة يفرقون بينهما .

فأما المحاورة فهي عندهم مراجعة الكلام، وأما المجادلة فهي الردّ في الخصومة [٢] .

وفي الاصطلاح : الجدل عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها[٣] .

فالفرق واضح في مدلول اللفظين ، فالجدل والجدال والمجادلة كل ذلك ينحو منحى الخصومة ، وأما المحاورة والحوار فهي مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين ، ولاتلزم فيه صورة الخصومة ، وإنما يغلب عليها صورة الكلام المتبادل بين طرفين.

---

(١) ينظر: الحوار في القران، محمد حسين فضل الله ، ، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان ، ط.١ ، ١٩٩٦م ، ص١٥ .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (جدل) ١٠٥/١١ .

(٣) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ،ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ص٦٦ .

وعند استقصاء دلالة اللفظين في التنزيل نلمس الفرق بوضوح حيث استعملت فيه لفظة الجدال للدلالة على أنّ الشيء غير مرضيٍ عنه أو أنّه لا نفع فيه ، كقوله تعالى :﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ﴾ (٢) .

ولذلك نهى القرآن عن الجدال في الحجّ في قوله تعالى:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣) .

وقد وردت مادة الجِدال في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم(٤)، يغلب عليها جميعا دلالتان:

١ـ دلالة عدم الرضا عن الجدال .

٢ـ إنّ هذا الجدال غير محمود عقباه.

وأمّا المحاورة فقد أوردها الكتاب العزيز في ثلاثة مواضع ، اثنان منهما في موضع يبدو في ظاهره التخاصم الشديد في قصة الأخوين صاحبي الجنتين، حيث كان أحدهما مؤمناً سخياً، والآخر كافراً شحيحاً، فكان من قول الكافر ما ذكره القرآن الكريم:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ ﴾(٥) .

وينقل القرآن عن الآخر : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾(٦) .

---

(١) سورة غافر، الاية:٥ .

(٢) سورة الحج، الاية: ٨ .

(٣) سورة البقرة، الاية: ١٩٧ .

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، مادة (جدل)، دار الحديث، القاهرة ، ١٩٨٨م، ص١٦٥ .

(٥) سورة الكهف، الاية:٣٤ .

(٦) سورة الكهف، الاية:٣٧ .

والموضع الثالث الذي ورد فيه التحاور في القرآن يتضمن سياقه التفرقة بين المجادلة والمحاورة في مدلوليهما اللذين نتحدث عنهما ، وذلك في قصة المرأة [١] التي جاءت إلى النبي تخاصم زوجها وتشتكيه ، في قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾[٢] .

فحديث المرأة عن زوجها كان خصومة ولذلك كان التعبير عنه بالمجادلة ولكن حديثها مع النبي كان مراجعة في الكلام ولذا سمّي محاورة.

أمّا لفظة (المناقشة) فقد يشيع الخطأ في استعماله، واللفظ المقصود هو (المناقشة) فيستعمل خطأ بمعنى (المحاورة)، واللغة لا تعرف المعنى المذكور لهذا اللفظ .

فالمناقشة عند علماء اللغة تعني الاستقصاء في الحساب[٣] .

ويستشهد الزمخشري على ذلك بحديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ: (من نوقش الحساب عذّب) [٤] .

وهناك مصطلح آخر قد يستخدم قريباً من معنى الحوار وهو (المناظرة).

والفرق بين الحوار والمناظرة: بأنّ المناظرة أدلّ على النظر والتفكر، والحوار أدلّ على مراجعة الكلام وتداوله، والذي يظهر أن الفرق هو اعتباري يرجع إلى ظهور وشهرة بعض المصطلحات في زمنٍ دون آخر، فقد ساد في عصر من العصور مصطلح المناظرة في كل بحث بين اثنين في

---

(١) هي: خولة بنت ثعلبة، وزوجها هو: أوس بن الصامت الانصاري، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م ، ٩٢/٧ .

(٢) سورة المجادلة، الاية:١ .

(٣) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص٦٧٦ .

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ط١، ١٤٢٢هـ ، ٨/ ١١١ ، رقم الحديث (٦٥٣٦)، باب: من نوقش الحساب عذب؛ ومسلم، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ لبنان، ٤/ ٢٢٠٤ ، رقم الحديث (٢٨٧٦)، باب: اثبات الحساب، ونصّ الحديث:(من حوسب عذب. قالت عائشة: فقلت أو ليس الله تعالى يقول: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قالت: فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذّب ـ أو هلك .

مسألة علميّة حتى لا نكاد نجد مصطلح الحوار عند المتقدمين، ثم ساد في هذا العصر الحوار أو الجدال أو المناقشة في ذلك المعنى بعينه[١].

وهناك لفظ (المحاجة) وهو يطلق في اللغة على التخاصم والجدال، ويقال: رجلٌ محجاج أي: جدل، والتحاج : التخاصم [٢] والحجة: البرهان، تقول: حاجّ محجةً أي : غلبه بالحجة.

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ الحجة أو التحاج عشرين مرة [٣]، أطلق بمعنى التخاصم والجدال في بعضها، كما في قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦ ﴾[٤] .

وجاء بمعنى البرهان، أو ما دفع به الخصم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ ﴾[٥] تبين أن المحاجة تطلق على التخاصم والجدال، وهي عندئذ مذمومة، وتطلق على البرهان والدليل وما يرد به على الخصم، فإن كانت حقاً وصحيحة فهي ممدوحة مطلوبة.

ومما سبق تتبين العلاقة بين الحوار والجلال والمناقشة والمناظرة ، والمحاجة، إذ إن كلها تشترك في معنى المراجعة في الكلام والمداولة بين طرفين [٦] .

ثالثاً : نشأة الحوار واثره الإسلامي

---

(١) ينظر: آداب الحوار(دراسة تأصيلية)، محمد سعد اليوبي، مجلة الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، العدد:١٣٦، لسنة ١٤٢٧هـ، ص:١٥٣ .

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٢٦/٢ .

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبالباقي: ص١٩٣ .

(٤) سورة آل عمران، الاية:٦٦ .

(٥) سورة الانعام، الاية:٨٣ .

(٦) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد بل حسن زمزمي، دار التربية والتراث، والتراث، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م، ص٢٨ ـ ٣٠ .

لقد نعت القرآن الكريم الإنسان بأوصاف متعددة[١] ، منها وصفه إياه بكثرة الجدل، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[٢] .

نستدل من هذه الآية أن الجدل من الصفات الملازمة للإنسان في طبيعة خلقه وتكوينه. لأن الإنسان خلق ليواجه الحياة بكل ما فيها من أحداث وملابسات وأفكار بعقلية منفتحة لا تستقر على حال ، فتراه يفتش عن الشيء وضده ، وعن الحق والباطل ليجادل في هذا ويحاور في ذاك ، فلا يتيقن الا ليتململ في رحلة جديدة نحو الشك ، ولا يشك الا ليبدأ رحلته الطويلة نحو اليقين ، إلى أن يصل إلى الحقيقة الخالدة عن الكون والنفس وخالقهما.

وهكذا تتنوع الافكار والآراء في كل مرحلة من مراحل حياته ، وفي ضوء ذلك ينشأ الجدل ويتحول إلى أسلوب للإقناع والتبرير)[٣] ، وكان الإسلام قريبا" من هذا الجو ، فأراد ان يخطط للانسان طريقا الى الايمان وذاك بعدم فرضه ، بل على اساس من حرية الإرادة والاختيار.

فكان الحوار الذي يتمثل في إدارة الفكرة بين طرفين مختلفين أو أطراف مختلفة، وكان الجدال الذي يتجسد في إعطاء الحوار قوة وعناداً لغرض الإصدار على الفكرة الصائبة.

نستنتج مما تقدم ان الحوار والجدال في المنظور الإسلامي لم يتحركا ليكونا فناً قائماً بذاته، كما نلحظه في المنهج الفكري الذي دعا إليه أفلاطون بشأن الجدل، فهو يعتبر أن الصورة الجدلية للمحاورات مقصودة لذاتها ولها المقام الأول ، وتأتي رغبة الوصول إلى النتيجة في المرتبة الثانية.

"يقول أفلاطون أنّ المحاورة تحدّد موضوعا للدراسة، وليس الغرض منها الخروج بنتيجة ، بقدر ما تجعلنا اقدر على الجدل في الموضوعات كلها"[٤] .

---

(١) من هذه الاوصاف: (هلوع، جزوع، قنوع، جهول، ظلوم، كادح) . قال الله تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) المعارج، الاية: ١٩،٢٠،٢١ ، وقال تعالى (انه كان ظلوما جهولا) الاحزاب، الاية:٧٢ ؛ وقال تعالى (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) الانشقاق، الاية:٦ ، ولمزيد من التفصيل ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبالباقي: ص٢٣٧ وما بعدها .

(٢) سورة الكهف، الاية:٥٤ .

(٣) ينظر: الحوار في القران، محمد حسين فضل الله، ص٢٢ .

(٤) ينظر: المرجع نفسه ، ٢٢ .

ولعلّ السّر في ذلك هو: أنّ هدف الإسلام الأساسي هو وصول الناس إلى الحق بالطّريقة التي تعمّق الإيمان في نفوسهم وتشرح به صدورهم، ولذا فإنّ وسائله العملية تتّجه على هذا الهدف فحسب.

لقد صوّر لنا القرآن الكريم بجلاء في نطاق حديثه عن الكافرين الذين انطلقوا بالجدل لإضاعة الفكرة وانكار الهداية ممّا يجعلهم ينكرون الحق وهم يرونهُ ويهربون من الواقع.

فقد حدّثنا عن المشركين في مكّة عندما استمعوا إلى الآيات القرآنية التي تتحدّث عن عيسى (عليه السلام) كيف كان ردّ فعلهم عليها ؟ .

فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨ ﴾[1] .

ولا يقتصر الرّفض لهذا الاتجاه في الجدل على أساليب الكافرين، بل يتمثّل في بعض الأساليب التي كان يَلجأ إليها بعض المؤمنين ممّن لم يَدخل الإيمان الكامل قلوبَهم فيحاولون التّخلص من مسؤولياتهم بالأساليب الجدلية، فذكره التنزيل في خضم حديثهِ عن المسلمين الذين كانوا يرفضون الخروج للحرب مع النبيّ (صلى الله عليه وسلم) الباحثين عن المبرّرات والأعذار، فقال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ ﴾[2] .

الفصل الأول

الحوار في القرآن الكريم

المبحث الأول : الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: الدعوة إلى الحوار في القرآن الكريم.

إنّ القرآن الكريم كتاب هداية للناس يرشدهم إلى الأقوم في المجالات الحياتية كلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾[3].

---

(١) سورة الزخرف، الاية:٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) سورة الانفال، الاية: ٥ ـ ٦ .

(٣) سورة الاسراء، الاية:٩ .

وفي مجال الدعوة إلى الله، ومخاطبة الناس والتّحدث إليهم بالتي هي أحسن يُعلمنا القرآن آداباً رفيعةً للحوار مع النّاس وذلك من خلال سَرد بعض المحاورات أو جوانبَ منها، لنهتدي بها ونتعلّم منها آداب التّحدث إلى الآخرين.

فقبل كل شيءٍ يريدُ القرآن منّا أن نفتح عقولنا ونوسّع صدورنا للآراء كلّها وأن نرحّب بالعقول جميعها ونحترم إختيار الآخرين فعقول البشر (بشكلٍ عام) أحد ثلاثة[١] :

١ ـ إمّا عقل انسان جادٍ يريد أن يتعلّم ويعلّم، وهذا هو العقل الربّاني كما سمّاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٢] .

٢ ـ أو عقل انسان غافلٍ لاهٍ لا يحفل بالاحداث الا من خلال المصلحة الذاتية والسهوات، ويصفه القرآن بقوله سبحانه: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[٣] .

٣ ـ وأخيراً عقل إنسان مستهزيء ساخرٍ ما يريد فيلمز خصمه بسقط الكلام ورخيصه، سمّاه القرآن الكريم العقل الاجرامي ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤] ولكلٍ من هذه العقول نصيبه وأسلوبه في التعامل معه ، وقد حملته لنا آيات القرآن الكريم ليعلمنا أساليب الحوار وفنون الخطاب مع انواع العقول البشري.

لم ترد كلمة (حوار) في القرآن الكريم إلا في آياتٍ ثلاث، جاءت اثنتان منها في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الذي لا يملك مالاً كثيراً ، فقال تعالى عنهما في الموضع الأول : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ

(١) ينظر: ادب الحوار ثقافة وسلوكاً، عمر محمود عبدالله، مكتبة الجيل العربي، الموصل، ١٩٩٥م، ص١٢ .

(٢) سورة آل عمران، الاية:٧٩ .

(٣) سورة الفرقان، الاية: ٤٣ ـ٤٤ .

(٤) سورة المطففين، الاية: ٢٩ ـ ٣٠ .

مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[١] وقال تعالى في السورة نفسها :﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾[٢] .

أمّا الآية الثالثة التي وردت فيها كلمة (حوار) فهي من سورة المجادلة، في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [٣] .

وقد جاء التّعبير عن الحوار بمفردة (الجدل) التي وردت في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم[٤]، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [٥] .

ولا يمكن حصر مساحة الحوار في القرآن الكريم في الآيات التي تتضمن مادة (حوار أو جدل) أو ما في حكمهما، بل يمكن اعتبار كلّ المواد الحواريّة الواردة في القرآن الكريم شاهدة لهذا الموضوع، مثلاً قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٦] وهكذا فإنّ الدعوة إلى الحوار في القرآن الكريم جاءت في سياقات عديدة، وعلى جميع المستويات ممّا يدل على أنه سيبقى هو أفضل وسيلة للتواصل على الاطلاق، ونشر الدعوة بين الناس.

إن من يُطالع القرآن الكريم يجد أنّ الحوار هو الأسلوب الغالب في تبليغ بني آدم، وتنبيههم وتحذيرهم أو ترغيبهم في التّمسك بأحكامه وتوجيهاته .

بل إنّ خلق آدم (عليه السلام) وبيان مهمّته في الأرض جاء بعد حوار الله تعالى مع ملائكتهِ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

---

(١) سورة الكهف، الاية:٣٤ .

(٢) سورة الكهف، الاية:٣٧ .

(٣) سورة المجادلة، الاية: ١ .

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، مادة (جدل) .

(٥) سورة النساء، الاية:١٠٧ .

(٦) سورة طه، الاية:٤٣ ـ ٤٤ .

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١) .

ومن هنا تتجلّى أهمية الحوار في القرآن الكريم، واعتماده أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، ومن يطالع القرآن الكريم لا يجد فئة أو شريحة من المجتمع الإنساني ـ مهما عظمت أو صغرت ـ إلّا وقد تم حوارها.

١ ـ الحوار مع الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾(٢) .

٢ـ الحوار مع إبليس – قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣) .

٣ ـ الحوار مع الأنبياء والملائكة ويشهد لهذا آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة، الاية:٣٠ .

(٢) سورة البقرة، الاية: ٢٦٠ .

(٣) سورة الاعراف، الاية: ١١ ـ ١٧ .

(٤) سورة هود، الاية: ٧٤ ـ ٧٦ .

٤ ـ الحوار مع المشركين ، قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[1] .

٥ ـ الحوار مع أهل الكتاب – قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] .

٦ ـ الحوار مع امرأة : قال تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾[3] .

٧ ـ الحوار بين والد وولده ، قال تعالى :﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[4] .

وكان الحوار حتى مع الحيوان والشجر والحجر، فلا نغالي إن قلنا : إنّ الدعوة قامت على الحوار[5] ولذا نجد أن القرآن الكريم قد وضع في آياته أهم الأسمى والسمات العامة للحوار الهادف، وستفصل القول منها في المباحث التالية.

المطلب الثاني : الدعوة إلى الحوار في السنة النبوية المطهرة.

المتأمل لسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) بإنصاف ليدرك أن النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو رسول الله حقاً وصدقاً، لأنه لا يمكن لإنسان أن يجمع في حياته وسلوكياته خلاصة الفضائل الإنسانية، وقمّة الوسائل البشرية في التّعامل مع الناس إلّا أن يكون نبيّاً معصوماً يوحى اليه.

---

(١) سورة مريم، الاية: ٤١ ـ ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران، الاية:٦٤ ـ ٦٨ .

(٣) سورة مريم، الاية: ١٦ ـ ٢١ .

(٤) سورة هود، الاية: ٤٢ ـ ٤٣ .

(٥) ينظر: معوقات التجديد والوسطية في الخطاب الاسلامي، د. طه احمد الزيدي، دار الفجر، بغداد، ط١، ٢٠١٦، ص١٥٥ .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل من استخدم الحوار، فهو (صلى الله عليه وسلم) يعلم أهمية الحوار وأساليبه وآدابه وفنونه، وقد مارسه على أحسن ما يكون طوال حياتهِ مع المسلم والكافر، مع الرّجل والمرأة ، مع الشّيخ و الطفلِ على حدٍ سواء[١] .

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستخدم الحوار كوسيلةٍ للتّواصل والتراحم مع الآخرين، ونجد في سيرته (صلى الله عليه وسلم) نماذج كثيرة متنوعةٍ للحوار، وبأشكال متعددةٍ، ليقدّم لنا الدروس للانتفاع والاستنان بها، منها :

١ ـ روى أبو أمامة أنّ غلاماً شاباً أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : قرّبوه ، فدنا الشاب حتى جَلَسَ بين يديهِ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أتحبه لأمك ؟ قال : لا ! جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ! جعلني الله فداك، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم . أتحبه لأختك ؟ قال : لا ! جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، فوضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يده على صدره وقال : اللهم طهّر قلبه واغفر ذنبه وحصّن فرجه ، فلم يكن شيئ أبغض إليه من الزنا[٢].

٢- جاء يهودي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يختبر صدقه في الدعوة وقد ابتاع منه تمراً إلى أجل، فطالبه قبل حلول الأجل مغلظاً له في القول وسط القوم ، فكان قوله : إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل، فهمّ به عمر (رضي الله عنه) فمنعه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقال له : يا عمر أنا وهو كنّا أحوج منك إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء، ثم أمر بإعطائه حقه وزيادة عشرين صاعاً في مقابل ترويع عمر له ، فلم يسع اليهودي إلّا إعلان إسلامه [٣] .

٣ ـ وأتى رجل أنكر ولده إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال :

---

(١) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، ص٣٢

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث (٢٢٢١١)، باب: حديث ابي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان، ٣٦/ ٥٤٥ .

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ١٤١١ هـ، ٢٩٣/١ .

ما لونها ؟ قال حمر ، قال : فيها أورق؟ قال : نعم ، قال : أين ذلك ؟ قال : لعل عرقاً نزعه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : وهذا الغلام لعلّ عرقاً نزعه[١] .

٤ ـ حين جهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالدعوة ـ حارت قريش وارتبكت وفكّرت ودبّرت ـ وكان ممّا صنعته أنّها أرسلت (عتبة بن ربيعة) إليه، يحادثه و يفاوضه ويغريه.

ولمّا جاء عتبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – قال له : يا ابن أخي، إنك منّا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم ، فرّقت جماعتهم، وسفّهت أحلامهم، وعُبتَ آلهتهم ، وكفّرت به فيما مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك بعضها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قل يا أبا الوليد، أسمع ، فقال له عقبة ما قال، حتى إذا فرغ قال له : أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم .

قال : فاسمع مني، قال : افعل، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتلو عليه من سورة فصلت حتى إذا انتهى إلى الآية موضع السجدة فيها سجد، ثم قال لعتبة : قد سمعت يا أبا الوليد ، فأنت وذلك.

فقام عتبة الى أصحابه، فقال بعضهم : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجهٍ غير الوجه الذي ذهب به، وطلب عتبة إليهم أن يدعوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشأنه، فأبوا وقالوا له، سحرك يا أبا الوليد بلسانه[٢].

وفي هذه القصة أكثر من درس، فيما يتصل بموضوع هذا البحث يحسن الوقوف عندها ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) أحسن الاستماع والإنصات لعتبة، وقال له : قل يا أبا الوليد، أسمع ، فلما قال عتبة ما عنده أعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الفرصة لاضافة شيء قد يودّ أن يقوله، ربّما نسيه أو غفل عنه، وسأله أَوَ قد فرغت ؟ ومعنى ذلك أنه أحسن الاستماع تماماً، وأعطى محدثه الفرصة ليقول من جديدٍ دون أن يعاجله، فلمّا سأله لتتأكّد من فراغهِ ممّا لديه، بدأ التّلاوة ، وهذهِ قمّة الأدب، وقمّة الذّوق ، ممّا يجعل الطّرف الآخر تنفتح نفسه للسّماع.

٥ ـ عن عمر بن الخطاب، قال : بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يومٍ إذ طلع علنيا رجلٌ شديد بياضِ الثّياب ، شديدُ سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفُهُ منّا أحد، حتى جَلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأسندَ ركبَتَيه الى رُكبتَيه، ووضعَ كفّيه على

---

(١)البخاري، باب: اذا عرض بنفي الولد، رقم الحديث (٥٣٠٥)، ٥٣/٧ ؛ ومسلم، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيره، رقم الحديث (١٥٠٠)، ١١٣٧/٢ .

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام، ٣١٣/١ .

فَخِذيه، ثم قال : يا محمدُ أخبرني عن الإسلام، قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتقيمَ الصلاةَ ، وتؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتَحُجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدّقه، ثم قال : أخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسلِهِ، واليوم الآخر، والقدر كلّه خيرِهِ وشرّهِ ، قال : صدقتَ، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبدَ الله كأنّك تراهُ، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك، قال: فأخبرني عن السّاعة، قال : ما المسؤول عنها بأعلمَ بها من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال : أن تلدَ الأمة ربّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رُعاءَ الشّاءِ يتطاولون في البنيان، قال عمرُ: فلبثتُ مليّاً ثمّ قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا عُمر هل تدري منِ السّائل ؟ قلت : اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنّه جبريلُ (عليه السلام) أتاكم ليُعَلّمَكم أمرَ دينكم [1]، هذا الحديث النبوي شاهد على استعمال الملك جبريل (عليه السلام) طريقة الحوار مع النّبي (صلى الله عليه وسلم) لتعليم الصّحابة بعضَ بل أهم المفاهيم الإسلامية.

وهكذا نجد أنّ الحوار غرضٌ أساس في أغراضِ السّنة النبويّة المطهّرة، لذلك لم يقتصر على نوعٍ واحدٍ أو جانبٍ معينٍ، بل شمل كل اتجاهات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ولم يقتصر استخدام الحوار في السّنة النبويّة في مجابهةِ الأعداء والمخالفين فحسب، وإنّما جعلته في كثير من المواضيع وسيلة للتّربية والتّوجيه، ممّا يدل على اهتمام السّنة به، وحرصها على الأسلوب الذي يؤدّى به.

وإنّ الطّريقة التي أدّى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسالته ما هيَ إلّا عبرةً للاحقين عن كيفيّة الحوار مع النّاس، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحاور الكبيرَ والصغيرَ، الجاهل والعارف، بغرض إقناعهِ بكل حبٍ ولطفٍ ولين.

واتسم حواره (صلى الله عليه وسلم) بالسّهولة ليوصل المُراد إلى أذهان الناس، وبالتواضع ليكون مُحبّباً لهم فيتقبلوا كلامه، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[2] .

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، ٣٦/١ ، رقم الحديث (٨)، باب: معرفة الايمان والاسلام والقدر.

(2) سورة آل عمران، الاية:١٥٩ ـ ١٦٠ .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إنما أنا رحمة مهداة)[١] .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله لم يبعثني معنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً [٢] .

المبحث الثاني

عناصر الحوار القرآني و شروطه

لابد للحوار من مناخ يعيش فيه من اجل ان يتحول الى طريقة منتجة بدلا من ان يكون عملا عقيماً، وقد خلق الله لرسوله الأرضية المناسبة لهذا المناخ بالتخطيط العملي لتوفير العناصر الضرورية لذلك.

فأهم العناصر التي يجب توفرها في عملية الحوار مايأتي[٣] .

١ـ شخصية المحاور.

٢ـ شخصية الطرف الآخر للحوار.

٣ـ خلق الاجواء الهادئة.

٤ـ المعرفة الموضوع الحوار.

٥ـ أسلوب الحوار.

١ ـ شخصية المحاور:

من العناصر الاساسية للحوار الهادف الذي يدور بين اثنين لينتهي إلى نتيجة حاسمة، أن يمتلك كلا الطرفين حرية الحركة الفكرية من خلال امتلاكهما الثقة بشخصيتيهما الفكرية المستقلة.

وقد حاول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يوفّر ذلك الشرط للاخرين الذين كانوا طرفاً رئيساً في المحاورة عندما كان يتحدث إليهم فكان يؤكد دائماً على جانب البشرية فيه، فهو بشرٌ مثلهم لا يملك أية قوة غير عادية في تكوينه الذاتي ، كل ما في الأمر أن هناك وحيا" ينزل إليه من

---

(١) مسند الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠م، ١/ ١٦٦ ؛ باب: كيف كان أول شأن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث(١٥)، ينظر: والبيهقي، شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، باشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م باب: في شرف اصله وطهارة مولده، رقم الحديث(١٣٣٧) ، ٢/ ٥٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ١١٠٤/٢ ، رقم الحديث(١٤٧٨)، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا الا بالنية .

(٣) ينظر: الحوار في القران، محمد حسين فضل الله: ص٣٥ .

الله باعتبار أنه رسوله ومهمته في هذا الوحي هي دور الإنسان الذي يريد ان يبلغه للناس بالوسائل المقنعة كلها دون فرضه عليهم ، لأنه لا يملك الطاقة السحرية المعجزة التي تدفعهم الى الايمان بما يدعوهم اليه ، دون مقاومة أو تفكير، بل يبقى لهم حرية ذلك كله ، فان استجابوا له فقد حصل على غايته من أداء رسالته، وإلّا فحسبه أنه قد بلّغ عن ربّه وقام بواجبه.

قال تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] ومنه أيضاً :﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [2].

٢ ـ شخصية الطرف الآخر للحوار:

لابد لمن يدخل في عملية الحوار من اعداد جوه الداخلي للاقتناع بالنتائج الحاسمة التي يقود إليها الحوار، وإلّا انقلب الموقف إلى جدلٍ عقيم دون الوصول إلى نتيجةٍ مقنعة للطرفين، لأنّ الفكرة قد أعدت سلفاً بشكل لا مجال للتراجع عنه، مهما كانت الأدلة المضادة، وذلك تبعاً للدوافع الذاتية والاجتماعية غير المتصلة بالمنطق المبنيّ على الحجّة والدليل .

وقد ركّز القرآن على هذا الجانب، فتحدث عن أولئك الذين لا يريدون أن يؤمنوا. قال تعالى:﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[3] .

ويوجد نموذج آخر من الناس وهم الذين يكابرون ولا يريدون أن يقتنعوا أو يؤمنوا، وصور القرآن هؤلاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[4] .

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [1] .

---

(١) سورة الكهف، الاية:١١٠ .

(٢) سورة الاعراف، الاية: ١٨٨ .

(٣) سورة الانعام، الاية: ١١١ .

(٤) سورة الانفال، الاية: ٣٢ .

إنها الأساليب الساذجة التي تحاول أن تتلمس الايمان من خلال المواجهة بالرؤية لله أو سماع كلامه مباشرة أو المواجهة بالعذاب على أساس موقف الانكار .

٣ـ خلق الأجواء الهادئة للتفكير المستقل:

لعلّ من أشد العناصر ضرورة لوصول الحوار إلى هدفه، وجود الأجواء الهادئة للتفكير الذاتي الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكره والابتعاد عن الاجواء الانفعالية، وقد صوّر لنا القرآن الكريم ذلك، فيما نقله من أسلوب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في الحوار مع خصوم العقيدة عندما واجهوه بتهمة الجنون.

قال تعالى:﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ ﴾[٢] .

فقد اعتبر التنزيل موضوع الاتهام للنبي (صلى الله عليه وسلم) بالجنون خاضعاً لجوّ الانفعال الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك، لذلك دعأهم الى الانفصال عن هذا الجوّ المحموم بأن يتفرقوا مثنى وفرادى في موقف فكرٍ وتأملٍ، ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة، وقد تجد ذلك الجوّ المذكور آنفاً الذي يحشده الاعداء ضد الإسلام وشريعته، فيما نواجهه من الصراع المرير الذي يخوضه المسلمون من أجل ترسيخ المفاهيم الإسلامية[٣].

والأسلوب العملي هو التحرير من الخضوع لبعض الترسبات العالقة في أعماق النفس، للانطلاق بحرية مع الافكار كشرط أساس لوصول الحوار إلى هدفه.

٤ـ المعرفة بموضوع الحوار:

لابدّ لكل من طرفي الحوار، من التّعرف على الفكرة التي ينطلقان في طريق اثباتها ونفيها، لأن الجهل بموضوع الحوار يحوّل الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات التي يغطي فيها كل منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوي عن فكرته[٤].

بينما تجعل المعرفة كلاً منهما واعياً لما يطرح من فكر، ويجعله يعرف كيف يبدأ الحوار وكيف يخوض فيه وكيف ينتهي منه في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجة.

---

(١) سورة البقرة، الاية: ١١٨ .

(٢) سورة سبأ، الاية: ٤٦ .

(٣) ينظر: الحوار في القران، محمد حسين فضل الله: ص٣٥ .

(٤) ينظر: المرجع نفسه: ص٣٥ وما بعدها .

وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج التي وقفت ضد الرسالة والرسول (صلى الله عليه وسلم) دون أن يكون لها إحاطة ومعرفة بهما كما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١) .

٥ـ أسلوب الحوار:

توجد طريقتان للحوار الفكري أو للصراع في مجالاته جميعاً:

أ ـ طريقة العنف: وهذه الطريقة تعتمد مواجهة الخصم بأشد الكلمات والاساليب وأقساها، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، ولاشك في أنّ مثل هذه الطريقة لا تنتج إلّا مزيداً من الحقد والعداوة.

ب ـ طريقة اللاعنف أو الأسلوب السلمي: وهذه الطريقة تعتمد اللين والمحبة أساساً للصراع، وقد ركّز الإسلام على هذه الطريقة في أساليب الحوار من أجل الوصول إلى المعرفة من جهةٍ أو إلى الموقف الحق من جهةٍ أخرى(٢).

وأطلق على ذلك كله التي هي أحسن كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾(٤) .

---

(١) سورة يونس، الاية: ٣٩ .

(٢) ينظر: الحوار في القران، محمد حسين فضل الله: ص٣٥ .

(٣) سورة النحل، الاية:١٢٥.

(٤) سورة فصلت، الاية: ٣٣ ـ ٣٥ .

المبحث الثالث

السّمات العامة للحوار في القرآن[١]

لا نريد هنا التحدث عن السمات والخصائص الفنية لأنواع المحاورات القرآنية، إذ أن لكلّ نوعٍ من أنواع الحوار القرآني خصائصه التي تميزه عن النوع الآخر، وإنما نريد إبراز ما توحيه نظرة فيها شيء من الشمول إلى أنواع المحاورات في القرآن الكريم.

وهذه النظرة الشمولية يظهر لنا أبرز سمات الحوار القرآني، والتي تتلخص فيما يأتي:

١- التّنوع:

نلحظ أن الحوار في القرآن الكريم لم يقتصر على نوعٍ معينٍ كالعقيدة أو الدّين عامة، بل شمل كل أوجه الحياة دينية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك.

إذ إن المحاورة لم تأت في القرآن عرضاً أو لغرضٍ معينٍ فحسب، وإنما هي غرض أساس من أغراض القرآن وأسلوب محدد من أساليبه التي يهدف بها إلى تحقيق أغراضه الشاملة جوانب الاصلاح جميعها، سواءً أكانت فردية أم جماعية.

٢ - الاعتماد على العقل:

وهو اتجاه واضح في أساليب محاورات التنزيل كلها إذ إن الأسلوب القرآني يتّجه إلى إبراز الحجّة والمنطق العقلي، ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور الافتراضات التي تتنافى مع أسس القرآن، حتّى إنّنا نجد أن الله تعالى يوجّه نبيه في حواره مع المشركين إلى أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله ، ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢] .

هكذا نجد أسلوب المحاورة في القرآن يعتمد على العقل في أثناء المحاورة بعيداً عن التّأثر بأيّ عاملٍ أو مؤثرٍ خارج المحاورة ، وهو أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينتظره مفكّر يدّعي الحرية في فكرِه، أو باحثٍ يدعي التجرد عن التعصب والانحياز.

٣ - انصاف الخصيم:

ومن السمات الواضحة في محاورات الكتاب المجيد، المحافظة على حق الخصم وإنصافهِ دائماً، سواء أكان المحاور الذي يمثّله القرآن شخصاً مؤمناً عادياً أم كان نبياً، بل حتى وإن كان

---

(١) ينظر: أسلوب المحاورة في القران الكريم، عبدالحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٥م، ص٢٩ .

(٢) سورة الانبياء، الاية: ٢٢ .

ذات الله سبحانه، فالأمر واحد في المحاورة، وهو إبراز حق الخصم وانصافه، وقد راعى منهج القرآن حق الخصم في نواحي متعددة، منها[1]:

أ . التجرد عن المؤثرات ، والاحتكام الى حكم يرتضيه الطرفان.

فأمّا التّجرد عن المؤثرات كمحاورة المؤمن للكافر في إثبات وجود الله ، مثلاً فلو قال المؤمن للكافر: أنا مؤمن بوجود الله ، وعليك الإيمان بوجود الله، فهذا لا يسمّى محاورة ، بل هو إلزام للخصم، لإعلانه أنه مخالف لخصمه منذ البداية، وكذلك لو قال: أن الله قال كذا وكذا، وأن الرسول قال كذا وكذا، لأنّ الخصم لا يؤمن بالله ولا بالرسول، وإنّما المحاورة المنطقية السليمة أن يتجرّد المحاوران عن عقيديتهما افتراضاً، كما افترض ابراهيم (عليه السلام) أنّه مشركٌ مثلهم وأنه يعبد كوكباً كما يعبدون.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾[2] .

وأما الاحتكام إلى حكم يرتضيه الطرفان، فهذا أمر طبيعي أن يختصم الطرفان إلى قاضٍ يرتضيانه ليحكم بينهما، ولكن هذا انما يحدث في الخصومات الدنيوية أما الخصومة الدينية فلا يتصور فيها قاضٍ مرضي عنه من الطرفين، لأنّ القاضي إما مؤمنٌ وإما كافر وليس بينهما وسط، وفي الحالين كليهما فهو مُنحازٌ لأحد الطرفين، لذلك لم يكن هناك حكم في خصومات الدين إلّا العقل لأنه قدر متفق عليه وعلى حقائقه بين الناس جميعاً، ومرضي عنه من الطرفين .

فالقرآن يعطي أهمية كبيرة للعقل والعقلاء ويضعهم في مرتبة متقدمة كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ﴾[3] ،

(1) ينظر: أسلوب المحاورة في القران الكريم، عبدالحليم حفني: ص٣١ .

(2) سورة الانعام، الاية: ٧٥ ـ ٧٩ .

(3) سورة آل عمران، الاية: ١٩٠ .

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[١] .

وقوله تعالى:﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[٢]، وآيات كثيرة في هذا المعنى [٣].

ب ـ حماية الخصم في أثناء المحاورة.

مهما بلغ الخصم المحاور من الضعف في رأيه أو كيانه، نجده في القرآن محمياً لا يناله أذىً ولا تحقير، كما يقال في القانون : المتّهم بريء حتى تثبت إدانته، وهذا يقتضي ألّا يوصف أحد طرفي المحاورة بأنّه مخطيءٌ أو مصيب إلا بعد إنتهاء المحاورة[٤].

ومثال ذلك هذا الذي يحاور في الله مدعياً إنكار قدرته تعالى على بعث الموتى، وكيف أن الله تعالى يوجه نبيّه إلى محاورته من غير أن يؤذيه ، قال تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[٥] .

٤ـ تحديد الغاية وتوضيحها:

يهتم حوار القرآن الكريم بابراز الهدف الذي تدور فيه المحاورة مع التركيز على أن يكون الهدف واضحاً ومحدداً، ويكون توقيت هذه النقطة بعد انتهاء المحاورة وإظهار الحق إما مع تسليم الخصم وإما مع إفحامه وعجزه عن متابعة المحاورة، وفي حالة التسليم يعترف الخصم بالحق ويعتنقه، وأما في حالة الاقحام والعجز فالغالب أن يبقى الخصم على خصومته.

٥ ـ الرفق بالمهزوم:

وفي حالة انتصار القرآن أو من يمثله في المحاورة وهزيمة خصمه نلاحظ التركيز على إعلان النتيجة وإبرازها لأنّها محور الخصومة ، وهذا هو مقصود القرآن وهو نشر الدين نفسه، أما الخصم ذاته فإنّ محاورة القرآن لا تهدف إلى النيل منه أو ايذائه حتى بعد إعلان خطئه.

ولعل السبب في ذلك، أنّ القرآن لا يعني كثيراً بالاشخاص كثروا أو قلوا إلّا بمقدار اعتراضهم طريق نشر الحقيقة، أما ذوات الاشخاص، فالقرآن أكبر من أن يولّيها اهتماماً شديداً .

---

(١) سورة يوسف، الاية: ١١١

(٢) سورة ابراهيم، الاية: ٥٢ .

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم: مادة (لب عقل) .

(٤) ينظر: أسلوب المحاورة في القران الكريم، عبدالحليم حفني، ص٣٣ .

(٥) سورة يس، الاية: ٧٨ .

وسببٌ آخر هو أن القرآن ليس إلا كتاب هداية للناس جميعاً فهو يريد أن يجذب الناس إليه بما فيهم هؤلاء الخصوم.

ومن أمثلة ذلك محاورة إبراهيم (عليه السلام) للمشركين من عبدة الكواكب، ففي نهاية المحاورة يقول الله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] .

فهنا نلحظ بوضوح مراعاة ابراهيم (عليه السلام) في هذه الكلمات الموجزة لما يأتي[2]:

أ ـ المحافظة على صلته بالخصوم، بقوله: (ياقوم) أملاً في كسب إيمانهم.

ب ـ أعلن أن عملهم هو شركٌ، حيث قال: (مما تشركون) .

ت ـ استنكر هذا الشرك فقال: (اني بريء مما تشركون) .

ث ـ بيّن لهم البديل الصحيح وهو الإيمان بالله ، فقال:(أني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض).

ج ـ بيّن قدراً كافياً من صفات الآله الواحد فقال:(فطر السموات والأرض).

ح ـ حسم الموقف بعدم ميله إليهم ، فقال:(وما أنا من المشركين).

٦ ـ تحديد الهجوم:

وليس معنى ما سبق أن الخصومة أو المحاورة كلّها رِفقٌ، والذي يلتزم الرفق مع خصمه دائماً ليس أهلاً للفوز الدائم سواءً أكان هذا في الحرب بالسّيف أم في الحرب باللسان، فإنّ المحاور لا يستطيع أن يغفل عن كسب خصمه ليضمه في دعوته بطريقة الحوار، وإن لم يكن بطريقة ودّية فهو شبيه بها.

هذا جانب يراعيه محاور الدعوة، لكن هناك جانب القوة، فالقوة أمضى أسلحة الخصومة مطلقاً .

وإذا توسّعنا في مدلول القوة فإنها تشمل القوة المعنوية، وهي قوة الحجة والبيان في المحاورة، وتشمل أيضاً القوّة المادية أو التلويح بها، وذلك لأجل أن يحس الطرف الآخر أن خصمه قوي.

وإنّنا نرى أن أغلب محاورات الدعوة قد اشتملت في كثير من أحوالها على الجانبين، جانب الرفق واللين وجانب إظهار القوة في أي صورة يراها المحاور مناسبة للمقام ولشخصية خصمه.

---

(1) سورة الانعام، الاية: ٧٩ .

(2) ينظر: أسلوب المحاورة في القران الكريم، عبدالحليم حفني،ص٣٦ .

فمن اجتماع الجانبين في تعبيرٍ واحدٍ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

فإن الموادعة لهم ظاهرة في الشق الأول من الآيات بمجاراتهم في صدق ادعائهم ، ولكن إظهار القوة بالترهيب والانذار كان في الشق الثاني أشد وضوحاً.

الفصل الثاني

أهمية الحوار وآدابه في الفكر الإسلامي

المبحث الأول

أهمية الحوار وضرورته في الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: أهمية الحوار:

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس مختلفين متباينين في النظر والفهم والتفكر، وإن هذا الاختلاف مظهر من مظاهر التجديد وتلاقح الأفكار ما دام منضبطاً بضوابط الاختلاف المشروع . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[3]، وهذا يؤكد اختلاف الناس في المعتقدات والأخلاق والأفعال، وحينما تسلم لوجود الاختلاف فإن الحوار والجدال بين المختلفين يبقى وارداً، فكل واحد يريد تبرير وجهة نظره، وتدعيم رأيه بالحجة والبرهان مقابل الرأي الآخر، ولهذا يأمرنا الإسلام بالتزام مبدأ الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن فهو دين ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[4]، هذه الآية ضبطت أسس الحوار وسيرته على منهج سليم وأساس راسخ.

إنّ الحوار حاجة انسانية يتواصل فيه الإنسان مع غيره لنقل آرائه وأفكاره وتجاربه كما أنّه وسيلة لنقل المدنية والثقافات بين الحضارات المختلفة للشعوب، كما أنّه يقوي الجانب الاجتماعي في شخصية الفرد من خلال حواره مع الآخرين و تواصله معهم ، ويعمل على تحجيم ثقافة أحادية

---

(1) سورة الانعام، الاية:١٤٧ .

(2) سورة الملك، الاية: ٢٨ .

(3) سورة هود، الاية:١١٨ .

(4) سورة البقرة، الاية:١١١ .

التفكير والإقصاء الذي يمارسه البعض تجاه الآخر، ومن خلاله يمكن التعرف على وجهات نظر الأطراف المتحاورة وتقديم الحلول للمعضلات، وتتجلّى أهمية الحوار فى كونه الطريقة الأفضل في التواصل والتفاوض، والوصول إلى النقاط المشتركة والاتفاق على حلٍ يناسب الجميع ، وان الدعوة إلى الحوار يرمز لها في البروتوكولات الدوليه بالدعوة إلى الطاولة المستديرة التي يجلس الجميع حولها بأبعاد متساوية عن مركزها ، وترمز إلى المساواة وعدم الانحياز .

لذلك فقد أدلى الإسلام أهمية كبيرة للحوار، ودعا إليه ووضع له أسساً و مقومات من خلال نصوص عديدة في القرآن الكريم والسنة النبوية . ووضع الله معالمه ومبانيه في أرقى صورة، وجعل منه وسيلة هادفة ذات قواعد و آداب ورسالة شريفة تخدم الحق.

وتأكيداً على هذه الغاية السامية أمر الإسلام بالمحاورة بالتي هي أحسن مع أصحاب الديانات والثقافات الاخرى، فضلاً عن مراعاة هذا المعيار الراقي مع من هم اخرة في الدين، فالغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون من المتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، وهذه هي الغاية الأصلية للحوار، وثمّة غايات وأهداف فرعية أخرى، أو ممهّدة لهذه الغاية، منها : إيجاد حلٍ وسط بين الطرفين، والتعرف على وجهات النظر وهو هدف تمهيدي هام، والبحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنوع الرؤى والتصورات من أجل الوصول إلى نتائج أفضل [١]، إن الحوار في معناه الصحيح – ليس هدفه مجرّد فكّ الاشتباك بين الآراء المختلفة ، وإنّما هدفه الأكبر إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، والحوار – بهذا المعنى – قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها والتّمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات [٢] .

الوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن تعلمه للأجيال الجديدة، وبصفة خاصة عن طريق القدوة وليس عن طريق التلقين، فالواقع المؤلم أنه كثيراً ما تحدث إلى مشادات عنيفة تخرج عن نطاق الموضوعية، وربّما تتطور الأمر إلى شجار وتماسك بالأيدي بين الأطراف المختلفة في الرأي، لأنّ كل جانبٍ يريد فرض رأيه بشتّى السُبل، ولا يقتصر ذلك على المستويات الدنيا في المجتمع، بل ينسحب على شريحة لا يستهان بها بين المشتغلين بالفكر وبالثقافة بصفة عامة .

---

(١) الحوار وآدابه في الاسلام، صالح بن حميد، ص:٧ .

(٢) الانسان والقيم في التصور الاسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص١٦٤ .

وهذا الخروج عن الموضوعية في الحوار أمرٌ لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى وميّزه بالعقل، ويدل هذا على ضحالة في الفكر وقصور في الحجة وفقر في المنطق .

ومن هذا فإنّه لا يجوز للمرء أن يضيق صدراً بالآراء المخالفة لرأيه، ليس فقط في مجال الأمور اليومية العادية ، بل حتى في أمور الدين والفكر والسياسة، فلا يجوز لطرف من الأطراف أن يدّعي لنفسه أنه وجده الذي يملك الحق المطلق وأن غيره يقف في الطرف المقابل الذي متساوى مع الباطل.

وقد عبّر الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ عن هذا المعنى في تسامح رائع قائلاً : رأينا صوابٌ يحتملُ الخطأ ورأيُ غيرنا خطأ يحتملُ الصواب(١).

وقد بلغت السماحة في الفكر الإسلامي المستنير حدّاً لا نظير له، عبّر عنه الشيخ "محمد عبده" بما اشتهر بين المسلمين وعُرف من قواعد أحكام الدين، قائلاً : إذا صدَر قولٌ من قائلٍ يحتمل الكفر من مائة وجهٍ ويحتملُ الإيمان من وجهٍ واحدٍ حُمّلَ على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر (٢) .

ولا جدال في أن الحوار قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر الحاماً وضرورة من أي وقت مضى – بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنّما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، وإذا كانت بعض الدول في هذا العصر لا تزال تفضل شريعة الغاب بدلا من اللجوء الى الحوار فإنّ على المجتمع الدولي أن يصحّح الأوضاع ، ويعيد مثل هذه الدول الخارجة على القيم الإنسانية والحضارية إلى صوابها حتى تصاغ إلى الأسلوب الحضاري في التعامل، وهو "الحوار" ، فليس هناك من سبيل إلى حل المشكلات وتجنّب الصّراعات والنزاعات إلّا من خلال الحوار.

ولا ننسى أنّ الحوار بين الثقافات والحضارات جزءٌ من الهيكلة الأساسية للأم المتحدة، هذه النقطة حدّدَها الأمين العام السابق للأمم المتحدة "كوفي عنان" عندما ذكر: أنّ الأمم المتحدة قامت على مبدأ إن الحوار يمكن أن ينتصر على الخلاف، وأنّ التنوع فضيلة عالمية، وأنّ سكّان العالم متحد في المصير المشترك أكثر من اختلافهم بهوياتهم المتباينة (٣).

---

(١) ينظر: الانسان والقيم في التصور الاسلامي، د. محمود محمد زقزوق، ص:١٦٣ .

(٢) ينظر: الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الشيخ محمد عبدة، دار المنار، القاهرة، ١٣٧٣هـ، ص:٥٣ .

(٣) ينظر: موقع الامم المتحدة، مقال بعنوان: الحوار بين الثقافات، بتأريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٥م . www.un.org

المبحث الثاني

أدب الانبياء عليهم السلام في حوار أقوامهم

١ ـ أسلوب الرسول ﷺ مع قومه:

يخاطب الرسول ﷺ الفطرة والعقل السليم بأمهات الحقائق وبديهيات الحياة التي لا ينكرها عاقل ولا تغيب عن انسان، ويسألهم بما ينعم به البشر كلهم من أسباب الرزق وتتمثل بتربة ممهّدة مهيأة للحرث ومطر ينزل تلقائياً دون عناءٍ ورياحٍ تحمل الماء الآف الكيلومترات لتسقي الأرض العطشى.

ثم اتبعها يقول المنصف الذي يمنح خصمه الفرصة حتى يساويه بنفسه :﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ ﴾[١] .

قال أبو حيان في تفسير الآية (وفي هذا انصاف وتلطف في الدعوة)[٢] أي يقدم لهم الحقائق دون تقريع أو انتقاص من عقولهم.

وأعطى القرآن الكريم على لسان الرسول له الفرصة مداها الأوسع في استمالة قلوبهم بالخطاب المهذب المؤدب الرقيق الذي يبرىء ساحة مخاطبيه ولايتهمهم ولا يكثر من اللوم أو التأنيب فقال : ﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ ﴾[٣] .

فاستعمل القرآن كلمة (أجرمنا) ونسبها إلى نفسه وأستعمل لهم كلمة "تعملون"، وفرقٌ كبيرٌ بين (الإجرام) و (الفعل) فالاجرام لا يحتمل أي وجهٍ من أوجه الخير والفعل يحتمل الخير والشر[٤] .

قال الزمخشري (وهذا أدخل في الإنصاف وأبلغ من الأول) [٥] .

وعندما اتهم مشركو مكة الرسول ﷺ بالضلال ، اجابهم بغاية الأدب وبيقين المؤمن ، كما أخبرنا به القرآن في قوله تعالى :﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨ ﴾[١] .

---

(١) سورة سبأ، الاية: ٢٥ .

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ،ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م،
٥٥٣/٣ .

(٣) سورة سبأ، الاية: ٢٥ .

(٤) ينظر: أدب الحوار ثقافة وسلوكاً، ص:١٩.

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٥٥٤/٣ .

٢ ـ أدب النبي موسى (عليه السلام) مع قومه:

عندما نستحضر في أذهاننا مشهد من مشاهد يوم الزينة في مهرجان التّحدي بحضور فرعون مصر وجماهير المدينة وكبار السحرة ويقابلهم النبي موسى عليه السلام ومعه معجزاته . كما يقدمه لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾[٢].

وفي هذا الموقف نرى موسى وقد خبره السحرة بأن يبدأ معهم أو يمنحهم الفرصة أولا" ، وفي هذا ما لا يخفى من الأدب مع موسى واحترامه.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾[٣] فقال موسى بثقة المؤمن (بل) ألقوا: اي منحهم الفرصة ردا على أدبهم معه بأحسن منه ، أي تفضلوا بالالقاء، ومن تقدمه على نفسك بالكلام أو الفعل أو الحكام فقد تأديت معه وأحترمته غاية الاحترام.

٣ ـ أدب يوسف (عليه السلام مع أخوته:

بعد أن غفر يوسف لاخوته ما فعلوه معه وجاؤوا بأبويه اليه طوى يوسف بأدب النبوّة ما بدر من شرور الأخوة وأختار العبارة بما لا يجرح الكرامة ولا يخجل المخاطبين، واستقبلهم استقبالاً حسناً ولم يذكرهم بما فعلوه به ، وهو يحكي لأبويه معاناته عبر سني البعد عنهم .

فقال:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[٤].

فذكر نعمة الله عليه بإخراجه من السجن وتغافل متعمداً ذكر نجاته وخروجه من الجب الذي القوه فيه ، ثم قال لهم :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ

---

(١) سورة القصص، الاية:٨٥ .

(٢) سورة طه، الاية: ٥٩ ـ ٦١ .

(٣) سورة طه، الاية: ٦٥ .

(٤) سورة يوسف، الاية: ١٠٠ .

بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾[1]، ليذكرهم بنعمة الله عليهم ، إذا أبدلهم حياة البداوة بنعيم المدينة، ووفرة مواردها، بدل الحاجة المتزايدة والفقر الذي كانوا فيه.

المبحث الثالث

الآداب العامة للحوار والمناظرة.

إنّ آداب الحوار هي مجموعة القواعد والبروتوكولات التي يجب على المتحاورين الالتزام بها، والتي من شأنها رفع سوية الحوار وجدواه وتجعل منه فعّالاً و ايجابياً، ولا بدّ من توافر هذه الآداب والقواعد في الحوار البناء، حيث إنّ الالتزام بآداب الحوار يمنح الطرفين المتحاورين القدرة على طرفي آرائهما بوضوح، و استماع كل طرفٍ إلى الرأي الآخر، وفهم قصده فهماً دقيقاً، وإنّ عدم الالتزام بآداب وقواعد الحوار يحوّل الحديث إلى اللغو وعديم الفائدة، أو إضاعة الوقت .

المطلب الأول:الآداب العامة للحوار.

١ ـ **اخلاص النية لله تعالى** : قبل الولوج في الحوار يجب على المسلم اخلاص نيته لله تعالى، ويساعد ذلك على تحقيق اكبر فائدة من الحوار بموضوعية .

٢ ـ **تقدير الخصم واحترامه:** ينبغي في مجلس الحوار التأكيد على الاحترام المتبادل من أطراف الحوار، وإعطاء كل ذي حقٍ حقّه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات اللائقة، وبالألقاب المستحقة والأساليب المهذّبة. [2]

٤ ـ **الالتزام بالكلام الطيب أثناء الحوار:** من أهم ما يجب أن يكون في الحوار هو القول الحسن، والأسلوب الجميل والابتعاد عن القول القبيح، فقد أمر الله تعالى بذلك، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[3] .

٤ ـ **تجنب أسلوب التحدي والتعسف:** من الضّروري تجنب أسلوب التحدّي في الحوار، فإنّ كسب القلوب أولى من كسب المواقف، فقد تُسكت الطّرف الآخر بالحجة والبرهان ، ولكنك لا تكسب تسليمه، فأسلوب التّحدي يقف حاجزاً ولو توفّرت القناعة العقلية.

والأولى أن يحرص المسلم على استمالة القلوب وكسبها فهو خير من الاستكثار من الأعداء.

---

(١) سورة يوسف، الاية: ١٠٠

(٢) ينظر: أدب الحوار ثقافة وسلوكاً، ص:٢١.

(٣) رواه الامام احمد، ٢٠/ ٣٤٣ ، رقم الحديث(١٣٠٤٧)، باب: مسند انس بن مالك رضي الله عنه .

٥ ـ تحديد وقت محدد للحوار: ينبغي على المتحدث ألّا يستأثر بالكلام لنفسه، بل من الإنصاف طرح فكرته ورأيه، ثم يترك المجال للطّرف الآخر بطرح رأيه – لذلك من الضّروري تحديد وقتٍ محددٍ لكلّ محاور، وكذلك لمجمل المحاورة.

٦ ـ حصر الحوار في جمع محدود: إنّ محدودية الحضور تساعد على تجميع الفكر والفهم، وإنّ الحوار في حضور جمع كبير من الناس يتحرّك دواعي الرياء والحرص على الغلبة بالحق أو بالباطل، فإنّ الأجواء الجماهيرية والمجتمعات المتكاثرة تغطّي الحق وتشوّش الفكر، قال تعالى : (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ..) [١] .

٧ ـ حسن الاستماع وأدب الإنصات: من آداب الحوار حسن الاستماع للمتحدث، واللباقة في الإصغاء وعدم قطع الحديث إلّا لضرورة، فمن الخطأ أن يحصر المستمع همّه في التفكير فيما سيرد فيه على الطرف المتحدث ولا يُلقي بالاً للمحاور، وقد قال ابن المقفع : تعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الكلام .

ومن حسن الاستماع إمهال المتكلّم حتّى ينقضي حديثه، وقلّة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول، ولا بدّ من التفاعل مع المتحدث بلغّة الجسد أو الإيماء بالرأس، والتواصل معه بالعينين[٢]

٨ ـ التجرد في طلب الحق: إنّ اتباع الحق والسّعي إلى الوصول الى الصواب، والحرص على الاعتراف به وعدم التمادي في الخطأ من أخلاق الشجعان، فينبغي على المحاور أن يقرّ بالحقيقة، والصّواب وإن صدر من خصمه ألّا يتمسك بخطئه، فالرّجوع عن الخطأ والاعتراف به فضيلة، والالتزام فيه هو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم.

٩ ـ الانتباه لنبرة الصوت: من الضروري الانتباه لنبرة الصوت في الحوارات المباشرة بين طرفين أو أكثر، وتجنب الانقياد خلف الانفعالات، وعدم رفع الصوت ، من جهة أخرى فإنّ الصوت المنخفض جداً يعد من معرقلات الحوار الناجح، ويسبب عدم فهم الحديث ، لذا ينبغي التوسط في ذلك والحرص على نبرة صوت مسموعة وغير مزعجة للآخرين، عن عائشة رضي الله عنها قالت :(كان كلام رسول الله ص كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه)[٣] .

---

(١) سورة سبأ، الاية:٤٦ .

(٢) ينظر: أدب الحوار ثقافة وسلوكاً، ص:٢٤.

(٣) سورة يوسف، الاية: ١٠٠

١٠ ـ الصيد والحلم: ويشمل ذلك الصبر على مواصلة الحوار وعلى سوء خلق المحاور إن كان سيءَ الخُلق، والصّبر على شهوة النفس في الانتصار على الخصم، وضبط النفس أثناء الحوار بعامة.

١١ ـ اتباع المثل القائل (ليس كل ما يُعلم يُقال ولكل مقام مقال):

فإنّ هذا الأسلوب هو أنجح سياسة في الحوارات، لأنّ هناك أنواع من المقامات في الحوار، مثل الحوار بين الوالدين والأبناء، أو بين الزوجين، أو بين متخاصمين، والحديث إلى الأطفال غير الحديث إلى الكبار، فلكلّ نوعٍ من هذه المقامات والحوارات آداب خاصة وأسلوب قد يختلف عن الآخر، فمثلاً في الحوار بين الزوجين ينبغي اختيار الوقت المناسب، وأن يكون بعيداً عن الأطفال لتجنّب احتدام النقاش أمامهم[١].

وفي الحوار مع الوالدين ينبغي عدم الجدال معهما، وعدم التأفّف من كلامهما، والتّحدث معهما بتواضع وطاعة، وعدم الجلوس وهما واقفين.

وفي الحوار مع الأطفال أو المراهقين يجب على المحاور الكبير أن يحترم شخصية الصّغير ويتجنب السخرية وتسخيف الكلام، والتّحدث بصوتٍ هادئٍ واستعمال كلمات سهلة و مختصرة وتجنب تأنيب الطفل أو المراهق أمام الآخرين، والإنصات إلى كلامهم ورأيهم بدقة.

١٢ ـ الالتزام بالحدود العامة وعدم التطرق إلى المواضيع الشخصية: فإنّ هذا الأسلوب يُعدّ من منفرات الحوار، ويجب تجنبه والابتعاد عنه كي يكون الحوار مستمراً وهادفاً.

المطلب الثاني : أدب التخاطب في المستويات المختلفة.

١ ـ أدب التخاطب مع أهل الكتاب:

يشمل هذا الأسلوب مخاطبة أهل الرسالات السّماوية والأديان المختلفة الذين قال عنهم الفقهاء : سُنّوا بهم سنة أهل الكتاب، وقد حصر القرآن الكريم جدالهم وخطابهم بالطريقة الفضلى، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[٢] .

---

(١) ينظر: الحوار في القرآن الكريم، اسماعيل إبراهيم، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة، بغداد ١٩٨٩م ، ص:١٩٨ .

(٢) سورة العنكبوت، الاية: ٤٦ .

٢ ـ أدب التخاطب مع السفهاء والعابثين :

هذا الصنف من البشر لا يهتم بالحقائق ولا يطلبها، لذلك فقد أرشدنا القرآن الكريم بأن نكون مسالمين معهم وإذا سخروا منا نجيبهم بالحسنى، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾[1] .

٣ ـ أدب التخاطب مع الناس عامة .

هذا الدّرس البليغ للدّعاة كلّهم بتبليغ دعوتهم لكلّ النّاس، وقد أعطانا القرآن الكريم خيارات ثلاث تتمثل في الدعوة بالحكمة والعرض الجميل للسلعة الغالية بأفضل الأساليب والجدال بالأحسن، قال تعالى :﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾[2] .

٤ ـ خطاب الرسول ﷺ لقومه:

تميز خطاب الرسول وخلقه مع قومه بالرّحمة والسّماحة وطيبة القلب، وكانت هذه الصفات من سمات القيادة الحكيمة لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾[3] .

٥ ـ أدب التخاطب والحوار مع الله تعالى:

أ ـ مناجاة الانبياء : لنا نحن المسلمين أسوة في الانبياء ، فقد حفل القرآن الكريم بمناجاة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وضراعتهم وحوارهم مع الخالق بما يليق بذاته وجلاله.

فهذا هو المسيح عيسى بن مريم يخاطب الله تعالى بصيغة الاعتذار ، فيقول تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ ﴾[4].

ولم يقل عيسى (لم أقل ذلك) وإنّما قال (إن كنت قلته فقد علمته)) فهذا أدبٌ جمٌ في التخاطب.

---

(١) سورة الفرقان، الاية: ٦٣ .

(٢) سورة النمل، الاية: ٢ .

(٣) سورة آل عمران، الاية: ١٩ .

(٤) سورة المائدة، الاية: ١١٦ .

وقد حفظ إبراهيم الخليل (عليه السلام) الأدب مع الله تعالى ، فنسب الخلق والهداية والاطعام والسقاية والشفاء إلى الله سبحانه وكلّها خير، ونسب المرض إلى نفسه فقال :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ ﴾[1] .

وكان أدب أيوب رفيعاً مع الخالق عندما دعاه بقوله :﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[2]، ولم يطلب البرء والشفاء مع أنّه كان في حالة مرضية شديدة نفسياً وجسدياً.

ب ـ أدب الجن مع الله سبحانه:

لم يقتصر التزام الأدب في مخاطبة الله تعالى على بني الإنس فقط ، فالمؤمنون من عالم الجنّ لم يتجاوزوا الأدب مع خالقهم ، فقالوا :﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا ۝١٠ ﴾[3] فنسبوا الشّر للمجهول ونسبوا الخير لله تعالى.

٦ ـ أدب التخاطب مع رسول الله ﷺ:

علّم القرآن الكريم جيل الصحابة الأدب في حضرة الرسول ﷺ وأدب الحوار بين يديه ولغة التخاطب معه ، فأوحى ربنا أمره بالصمت بين يدي الرسول (ص) وعدم الاستعجال في الكلام قبله قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ ﴾[4].

أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي قبلهما، وهذا الأمر مخصوصٌ بحياته ، ولكن حكمه يمتد إلى يوم القيامة ، لأنّ هدى الرسول وسنتّه بين أيدينا وباقية إلى يوم القيامة حتى بعد وفاة الرسول، فإذا كان الأمر في البداية أن لا نقطع أمراً دون الرسول ﷺ فإنّنا ملزمون بعد وفاته أن لا تتجاوز الحدود التي رسمه لنا من خلال سنته المطهرة. [5]

---

(١) سورة الشعراء، الاية: ٧٨ ـ ٨٠ .

(٢) سورة الانبياء، الاية: ٨٣ .

(٣) سورة الجن، الاية: ١٠ .

(٤) سورة الحجرات، الاية: ١ .

(٥) ينظر: الحوار في القرآن الكريم، اسماعيل إبراهيم، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة، بغداد ١٩٨٩. ص:١٨٦.

وأمرنا الله سبحانه بخفض الاصوات في مجلسه الا بالقدر الذي يسمع فيه الخطاب, قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾[1].

فقد أشار القرآن صراحة أن رفع الصوت بين يديه وازعاجه يحبط العمل وهذا الأمر أيضاً وإن كان مخصوصاً بمجلس النبي (عليه الصلاة والسلام) وعدم رفع الصوت على صوته ﷺ ، فإنّ حكمهُ باقٍ لنا ولمن بعدنا، وذلك بعدم فرض رأينا وسنتنا على سنته وأن لا نرفع ما نراه صائباً على ما ثبت عن رسول الله لأنّه الأصوب والأقوم لأنّه من عند الله، قال تعالى :﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ ﴾[2]، وهكذا ينبغي التأدب مع العلماء والأساتذة ومن هم أكبر منّا سنّاً وأكثرَ علماً .

هذه هي بعض من الآداب العامّة في الحوار، والتي تُعدّ وسيلةً فعالةً، وعنصراً مهمّاً في التواصل الفعّال بين الناس في مختلف المجتعات سواءً أكان ذلك في العائلة، أو في بيئة العمل، أو في أيّ مقامٍ آخر، فإنّ استخدام هذه الآداب يُعدّ أمراً مهماً جداً في التفاعلات اليومية بين الناس، وفي الحفاظ على بيئات ومجتمعات ايجابية بعيدة عن المشاحنات.

كما إنّ لهذه الآداب دوراً كبيراً في الكشف عن شخصية المتحدث وهويتهِ ، فهي دليلٌ على الاحترام واللباقة التي تسأهم في جذب الناس وتسهيل بناء علاقات معهم، لذلك فإنّ توافر هذه الآداب في أيّ حوار ضروري ومطلوب لكي يكون الحوار ناجحاً ومفيداً وذا جدوى بين الفئات المختلفة من المتحاورين.

---

(١) سورة الحجرات، الاية: ٢ .

(٢) سورة النجم، الاية: ١٠ .

الخاتمة

يُعدّ الحوار الوسيلة الأولى للانسان للتواصل والتخاطب والتفاهم مع الآخرين، وهو الأداة الحضارية القوية لضبط اختلاف التصادم والتضاد.

ويُعدّ من الاساسيات الحياتية التي تمارس على مدار الساعة وفي شتّى الميادين، وهو مادّة التّقدم العقلي والفكري ومحور التقدم الحضاري والمادّي، ووسيلة لتجنّب النّزاعات والصراعات وحل المعضلات والبعد عن العدوانية، كما يُفرز روح التفاهم والتسامح بين الأفراد وكذلك بين الدول، وتحقيق السّلم المجتمعي والعالمي.

لقد عنى القرآن الكريم والسّنة النبوية المطهّرة بالحوار، ولا عجب في ذلك فالحوار هو الطريقة الأمثل للاقتناع الذي هو أساس إيمان المؤمن، ووردت نصوص عديدة في القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا المجال، وقدّم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار وفي مستويات مختلفة، وإنّ مادّة (القول) وما اشتق منها كقال ويقول وقل ويقولون وقولوا ... الخ هذه المادة التي تدل على التحاور والجدال والمناقشة والمراجعة قد تكرّرت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة.

وفي هذا البحث تطرّقنا إلى ماهية الحوار وأهميته وضرورته، وبيّنا أسس وعناصر الحوار، وآدابه العامة، وأوردنا نماذج من الحوار القرآني ومن الحوار في السنة النبوية، وفي الختام توصلنا إلى نتائج منها:

١ ـ إنّ الحوار كلمة جميلة ورقيقة تدل على التّفأهم والتّفاوض والتجانس.

٢ ـ هناك اختلاف في معاني ألفاظ (الحوار – الجدل – المناقشة – المناظرة) .

٣ ـ إنّ مبدأ الحوار يحتل مكانة بارزة في الإسلام أساسها التوجيهات القرآنية والنبوية.

٤ ـ يُعدّ الحوار من أهم عوامل الاستقرار والأمن والسلم في المجتمع، وفيما بين الدول.

٥ ـ الإسلام لا ينظر إلى الحوار لذاتة ، وإنّما للوصول إلى الحق عن طريقه.

٦ ـ هناك قواعد و آداب للحوار يجب الالتزام بها ليكون الحوار هادفاً وناجحاً.

٧ ـ الحوار ضرورة حضارية وانسانية في المجتمعات من أجل حياة آمنةٍ وسعيدة.

وفي ختام هذا البحث ندعو الله عزّ وجل أن يتقبل منّا هذا الجهد وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ...

المصادر والمراجع:

١)أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة، محمد بن ابراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ،الرياض ، ط١، ١٩٩٦م.

٢)آداب الحوار(دراسة تأصيلية)، محمد سعد اليوبي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد:١٣٦، لسنة ١٤٢٧هـ.

٣) أدب الحوار ثقافة وسلوكاً، عمر محمود عبد الله، مكتبة الجيل العربي، الموصل، ١٩٩٥م.

٤)أدب الحوار في الإسلام، محمد سيد الطنطاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط.١ ، ١٩٩٧م).

٥)أدب الحوار و الخلاف ، سالم البهنساوي، المكتب العصري الحديث، القاهرة ، ٢٠٠٥م.

٦)أدب الحوار و المناظرة، د. علي جريشة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط . ١ ، ١٩٨٩م .

٧)أدب الحوار، عائض القرني ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط.١ ، ١٤٢٥هـ

٨)الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الشيخ محمد عبدة، دار المنار، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

٩)أسلوب المحاورة في القرآن، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٣ ، ١٩٩٥م.

١٠) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

١١) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، د. محمود حمدي زقزوق، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

١٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، مجموعة محققين، دار الهداية.

١٣) التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي وخارجه د. زينب عبد العزيز، دار الانصار، القاهرة ، ١٩٩٧م.

١٤) التعددية والاختلاف، عبدالخالق مصطفى ، مقال في مجلة المسلم المعاصر، القاهرة ، ع. ٧٥ – ٧٦، ١٩٩٥م.

١٥) تيسير العلي القدير الاختصار تفسير ابن كثير، محمد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض ، ١٩٨٩م .

١٦) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م.

١٧) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، احمد الصويان، دار الوطن، الرياض، ط.١ ،١٤٢٥هـ.

١٨) الحوار الإسلامي المسيحي، يوسف القرضاوي ، مقال في مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، ع.٨٦ ، ١٩٩٨م.

١٩) الحوار دائماً، شوقي ابو خليل ،دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

٢٠) الحوار في القرآن الكريم، اسماعيل إبراهيم، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة، بغداد ١٩٨٩.

٢١) الحوار في القرآن، محمد حسين فضل الله ، لبنان ، بيروت، حارة حريك، دار الملاك للطباعة والنشر ، ط.١ ، ١٩٩٦م.

٢٢) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار العلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط. ١ ، ١٤١٤ هـ .

٢٣) الدعوة الإسلامية أصولها وانتماؤها، د. احمد علوش، دار الكتاب المصرى القاهرة – د.ت .

٢٤) سنن ابن ماجة، للإمام أبي عبدالله محمد ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية. بيروت.

٢٥) سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار احياء التراث العربي، بيروت ط.١ ، ٢٠٠١م .

٢٦) السيرة النبوية د. علي محمد الصلابي ، دار بن كثير ، بيروت، ط.١ ، ٢٠٠٤م .

٢٧) الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، ، دار المعرفة ، البيضاء، ط.١ ، ١٩٩١م.

٢٨) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت ط.٦ ، ١٩٨٦ م .

٢٩) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، للامام أبي زكريا النووي ، دار احياء تراث العربي بيروت ، ١٩٨٦م .

٣٠) صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم ، بيروت – ط٣ ، ١٩٨٥م .

٣١) العقلانية وحوار الأديان، محمد خاتمي ، مقال في مجلة قضايا اسلامية معاصرة، دورية محكمة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠/ ٢١/ ٢٠٠٢م .

٣٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط.٤ ، ١٩٨٨م .

٣٣) فن الحوار، د. بهار حسيب قرداغي ، رسالة ماجستير، مقدمة إلى الجامعة التقنية في أربيل، قسم الاعلام ، مطبعة الشهيد أزاد هورامي، كركوك .

٣٤) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت.

٣٥) القاموس المورد، علي في هاوية والحبيباني بن الحاج ، الشركة التونسية للتوزيع .

٣٦) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت .

٣٧) محيط المحيط، بطرس البستاني ، نشر مكتبة لبنان.

٣٨) مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي، دار القلم، بيروت، د.ت .

٣٩) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم الدراسية ، ط. ١٥ ، ١٩٨٥.

٤٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فواد عبد الباقي ، دار الحديث، القاهرة ، ١٩٨٨م.

٤١) معوقات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي، د. طه احمد الزيدي، دار الفجر، بغداد، ط١، ٢٠١٦.

٤٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهد عواض الألمعي ، مطبعة الفرزدق، الرياض، ط.٢١، ١٩٨٤م.

٤٣) منهاج الصالحين من أحاديث خاتم النبيين، عز الدين، دار الفتح ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٤٤) الموسوعة الفلسفية المختصرة، جلال العشري وآخرون ، دار العلم ، بيروت ، ط. ١ ١٩٨٢م.

٤٥) موقع الامم المتحدة، مقال بعنوان: الحوار بين الثقافات، بتأريخ: ٢٠٢٣/١٢/٢٥م . www.un.org

٤٦) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أصول الحوار ، ط:٤ ، ١٤١٤م..

٤٧) نقد العقل المسلم، عبد الحليم ابو شقة ، تقديم : محمد عمارة ، دار القلم الكويت ، ط.١ ، ٢٠٠٥م